قضية الثيوصوفيا من الثوابت العقدية

إلي المعتقد العقلاني

إعداد

حماده أحمد عبد اللطيف

باحث بقسم الفلسفة كلية الاداب جامعة بني سويف

الإستشهاد المرجعى:

حمادة أحمد عبد اللطيف (٢٠٢١). قضية الثيوصوفيا من الثوابت العقدية إلي المعتقد العقلاني. حولية كلية الآداب. جامعة بني سويف. مج ١٠: ج١ .– ص ص ١٢٥–١٥٨

المستخلص:

قضية الثيوصوفيا تعد من أهم القضايا المعاصرة في عصرنا هذا، فأصل ومصدرالكلمة يرجع إلى الإله فهي تعنى محبة الإله أو محبة الحكمة الإلهية، ويوضـــح لنا نيكولاس في هذا الفصـــل مدى ملائمة العقل مع الدين وأن كلاهما يخدم الأخر على مســـتوى القضـــايا اللاهوتية، وأن عقل الإنســـان فى علاقة تواصل مع العقل الفعال وهو الإله القادر المدبر للكون.

فالثيوصـــوفيا هر فكر دينى حر متحرر من كل المعتقدات الموجودة بحيث لا يكون أمامها اى صـــعوبات وبهذا لا تكون مقيدة بمبدأ أو فكر رجعي أو تكون مقيدة بنظام معين أو محدود، فنجد الإنســـان

عند نيكولاس يملك الأتحاد بالإله الأعظم وذلك عن طريق نوال كماله الروحي والدينى، فالإيمان بالإله يجعل الإنسان على مقربة بمعرفة الإله وأن كل هذا يستخلص في الدين.

فلا يوجد شـــيء مســـتقل عن الإله فكل الموجودات والمخلوقات مرتبطة بالإله ارتباط إلهي، فلا يوجد ما هو مســـتقل عن الإله طالما أن الإله هو الخالق فكل ما هو موجود مرتبط بالخالق فقدرة الإله تسبق كل شيء، وأن حقيقة الإله ظاهرة لنا لا تحتاج لبرهان أو دليل أما الذين يبحثون عنه وذلك من أجل زيادة الإيمان والتدبر في خلقه ومخلوقاته لأن الله موجود في كل شـــيء، وأن كل شـــيء موجود يدل على الإله.

الكلمات الدالة: الثيوصوفيا – الإله– العقيدة

تمهيد:

يقوم الباحث في هذا البحث بعرض قضية الثيوصوفيا[١]، ومدى تأثر نيكولاس كوزانوس بالنزعة العقلية الخالصـــة، ومدي الملائمة بين العقل والدين، وبين فكر وفلســـفة نيكولاس

[١] – كلمة ثيوصوفيا مشتقة من الكلمتين اليونانيتين ثيوس theos التي تعني "إله" وصوفيا sophia التي تعني"حكمة"؛فالكلمة بمجملها تعني "حكمة الإله" أو "الحكمة الإلهية". ويعتبر اهم رواد الثيوصوفيا هيلينا بلافاتسكى التى ولدت في روسيا عام ١٨٣١ وكان لها اهتمام بالغ فى العلوم الغنوصية والباطنية. وقضت ٧ سنوات في التبت حيث تتلمذت على يدكبار معلمى اليوجا والبوذية . وفي عام ١٨٧٥ أسست الجمعية الثيوصوفية بمدينة نيويورك .والثيوصوفيا (العقيدة السرية) كانت العقيدة العالمية الاكثر انتشارافي العالم القديم وتعاليمها مازالت بين الجماعات الباطنية والروحانية حتى الان،فبدايتها كانت مع معلم البشرية الاعظم تحوت المسمى بهرمس الهرامسة وهو ابوالكهنة المصريين ومؤسس علم الهرميات والهندسة المقدسة التى بنى على اساسها اهرامات المصريين وعقيدتهم الروحية والمعروف ان علومه ورثها الصابئة والفلاسفه اليونان امثال افلاطون وارسطو وفيثاغورس وسقراط،،و جميع مؤسِّسي الأديان العالمية علَّموا طرقًا من عقائد الثيوصوفيا. وما تزال ملامح من هذه الفلسفه باقيةً في أديان العالم الحية جميعًا، على كونها مدفونة، في أغلب الأحيان، تحت ركام من الشرائع والشروح الحرفية. . ويُعتبَر تدمير مكتبة الإسكندرية أحد العوامل الرئيسية التي تقف

مباشرة من وراء ضياع هذه التعاليم أو كتمها. فقد كان ذلك الصرح الفكري والروحي العظيم يضم، فيما وصلنا، حوالى ٧٠٠٠٠٠ مجلد تحوي خلاصة الحكمة القديمة والتعاليم الفلسفية والسرَّانية التي ازدهرت في روما واليونان والشام ومصر وبذلك غاب عن العالم الغربي "مستودع الحكمة" (كما كانت مكتبة الإسكندرية تُسمَّى آنذاك)، وغاب بغيابه مصدر من أهم مصادر إلهام العالم ،

ولقد تشربت ثقافة اليونان القديمة مبادئ الحكمة الإلهية ، حيث علَّمتْ عدةُ مدارس أسرار الروح للصفوة من تلامذتها. ففي بلاد الإغريق، وارثة حكمة مصر، كانت الفلسفة والعلم والدين تُعلَّم ككلٍّ واحد لا يتجزأ، وكان مريدو الأسرار الصغرى في هياكل ذلفس وإلفسِس وساموثراكي وفي أكاديمية أفلاطون، وقبلئذٍ في مدرسة فيثاغوراس في كروتونا، يدرسون الرياضيات والفيزياء وعلم النجوم، إلى جانب التعاليم الخاصة بطبيعة الألوهة والفيض والكوسمولوجيا ونواميس الطبيعة والبنية الباطنية للإنسان. أما "صفوة الصفوة" منهم، المؤهَّلة لولوج الأسرار الكبرى فكانت تركز جهودها على تفتيح ملكاتها وقواها الباطنة في سبيل التحقُّق بالمعرفة والحكمة عبر التأمل الباطني وفي بلاد فارس كان زردشت، مؤسِّس ما يعرف اليوم بالديانة الزردشتية أو الفارسية، من كبار المعلِّمين الباطنيين الذين أنجبتهم الانسانيةويمكننا أن نجد ملامح من التعليم في الكابالا (التصوف اليهودى)، ولاسيما في سفر الزَّاهر الذي ينطوي على سرَّانية الربانيين الحكماء. ولقد ظلت حضارة الصين، حتى يومنا هذا، موئلاً للعقائد الباطنية كما أعلنها معلِّموها الطاويون العظام، أمثال لاوتسِه وخوانغ تسِه وغيرهما. أما الهند، فقد بقيت المبادئ الغيبية آلاف السنين مزدهرة فيها ازدهارًا متواصلاً، يحمل ألويتها عمالقتها الروحيون، أمثال شنكراتشاريا وبَتَنْجلي والبوذا غَوْتاما،

وايضا من فلاسفه المسلمين من ترقى لمرتبة العقيدة الانسانية الثيوصوفيا

مثل جعفرالصادق والوفى احمد مؤسس جماعه اخوان الصفا وابن عربي والسهروردى وابن سينا ،فهؤلاء وصلوا لمرتبه الثيوصوفيا ،حينما خرجوا من دائرة الشريعه الدينية والعبادات النمطية وترقوا لمرتبة وحدة الوجود والتوحيد الخالص ولوتحدثنا عن العقيدة الباطنية فى المسيحية فاننا نجد انها احتوت كثيرا على المعانى الباطنية فمخطوطات البحر الميت المكتشَفة في العام ١٩٤٧ " التي تذكر بعض المصادر أنها دخلت في تماس مع البوذية عن طريق الرهبان الذين أرسلهم الملك البوذي آشوكا مبشِّرين بالبوذية، وتؤكد المصادر التي بين أيدينا أن يسوع أمضى فترة من حياته بين ظهراني الأسِّينيين – وإن يكن افترق عنهم فيما بعد دون أن يتنكَّر لصحة تعاليمهم. وسواء ومن المؤكد أن يسوع، بشهادة الإنجيليين، علَّم تلاميذه حقائق أعمق بكثير مما جهر به أمام عامة الناس الذين لم يكلِّمهم إلا بالأمثال. وتُعتبَر الأناجيل (ولاسيما إنجيل

كوزانوس التى كانت دائماً فى صراع مع رجال الدين من الكنيسة، كما سوف يتم عرض فكر نيكولاس كوزانوس العقلى وكيف جعل العقل الفعال هو أساس الجوهر الأول ومنه استمد فكره

يوحنا اللاهوتي) ورسائل القديسين بولس ويوحنا ورؤيا القديس يوحنا (نص مشبع بروح الكابالا ، لا يحتمل إلا تأويلاً رمزيًّا صرفًا) – ناهيكم عن بعض الأناجيل "المنحولة"، وبخاصة إنجيل توما الغنوصى احتوى نصوصا سرانية حافلة بالتعاليم الباطنية.المبادئ العامة للثيوصوفيا، كما بسطتها هيلينا بلافاتسكي في موسوعتها العقيدة السرية:-. الثيوصوفيا هي الحكمة المتراكمة عبر العصور، بدون أن يختص بها عصر دون عصر أو أمة دون أخرى.

٢. هنالك مبدأ أصلي إلهي متجانس في ذاته، يصدر عنه العالم المنظور في فيض أبدي. هذا المبدأ تطلق عليه الثيوصوفيا اسم الكينونة Be-ness.

٣. الكون المادي الذي نحيا فيه هو التجلّي الدوري لحقيقة غير مادية، وهو حلقة ضمن سلسلة لامتناهية من الأكوان التي تظهر وتختفي في حركة مدٍّ وجزر من الدفق والانحسار أو الانطواء والانبساط.

٤. الكون، بكل ما فيه، عابر وزائل بالقياس إلى ديمومة المبدأ الأصلي.

٥. كلُّ ما في الكون، عبر مكوناته، واعٍ؛ أي أن وعيًا يسري في كلِّ مكوَّن من مكوِّناته يتناسب ومستواه من التفتح أو درجة إفصاحه عن المبدأ الأصلي.

٦. يتشكَّل الكون ويوجه من الباطن إلى الظاهر، أو من الأعلى إلى الأدنى؛ وهو ليس حصيلة الصدفة العمياء، بل نتاج مبادئ داخلية قائدة تبطِّن تجلّيه (بالمصطلح الحديث "ذاتي الانتظام" auto-organized).

٧. نظام الطبيعة ككل يقيم الدليل على السببية والغائية معًا في التطور الطبيعي.

٨. بين صور الحياة السارية في الكون علاقاتٌ متداخلة تداخلاً ديناميًّا حيًّا.

٩. يتماثل كلُّ فرد، من حيث الماهية والجوهر، مع الكينونة أو المبدأ الأصلي المطلق، وإن كان يمرُّ عبر دورات متوالية من التجسُّد امتثالاً لناموس كرما karma، أو قانون السببية الكوني، باتجاه بلوغ المزيد من تفتُّح الوعي.ان الثيوصوفيا هى العقيدة الانسانية الاسمى بلاتقيد بتعاليم وشرائع دينية او تابوهات ومحرمات،هى من جمعت الاديان جميعا فى دين واحد هو الانسانية

انها تحمل المعانى الإلهية السارية فى الكون وسائر الموجودات. أنظر بالتفصيل بتاريخ٢٠١٨\٦\٣٠ على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=523745

وفلسفته، ثم تعريف الثيوصوفيا والبحث فى مفاهيم الثيوصوفيا والمعتقدات والقيم، وتبيان اذا كانت متوافقه مع الحقيقه الإلهية، وتأثر نيكولاس كوزانوس بفلاسفه اليونان، و الفيض الثيوصوفي وأثره على الحقيقة والديانات الإلاخرى، وكيف نظر أصحاب مذهب الثيوصوفيا لمذهب الأتحاد والحلول، وكذلك قضية الإلوهية، وموقف الملحدين من المعرفة والثيوصوفيا.

تعريف الثيوصوفيا- Theosophy:

الثيوصوفيا في اللغة لفظ أصله كلمتان يونانيتان: (ثيوس- theos) وتعنى إله أو إلهة، أو أمر مقدس أو سماوي. وهو الإعتقاد بوجود مطلق متجاوز عن المخلوقات يتجلى ويظهر في الكائنات المتعدد باعتبار عقيدة وحدة الوجود(١).

معني الثيوصوفيا في الإصطلاح:

كانت الثيوصوفيا هي الفكر العقلاني المتأثر دائماً بالفلسفة الدينية في العصور الأولي للفكر الإنساني، فقد كانت توحي بمدي علاقة الترابط بين معرفة الإله والإيمان به، وهنا نجد نيكولاس كوزانوس يشير بأن علاقة الإله بالإنسان تتمثل في قوة الإستنارة فالإنسان يستنير فكره فيفهم، وينفتح قلبه ويتلمس الحقيقة، والفهم مرتبط بالبصر والإيمان بالبصيرة، وبين البصر والبصيرة يحتجب في الذات الإنسانية الإله المحبة الذي يحترم حرية الإنسان، ويهتم لكرامته، وينتظر قراره الحر كما يثبت نفسه له، فان الذين يحملون الدعوة الى الإله هم رسل

(٢) مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي: الثيوصوفيا دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية،ط١ سنة ٢٠١٥،ص ٢٤.

الملكوت السماوى، قد ارسلهم الإله الآب للبشرية من أجل الدعوة التامة له، وتقديم الصلوات والعبادةالخالصة له دون غيره(١).

الثيوصوفيا عند نيكولاس هي عبارة عن فكر ديني حر متحرر من كل المعتقدات التي تجعل العقل مقيداً بعقائد لا يتقنها ولا يعقلها بل العقل آمن بها لمجرد انها مفروضة عليه، إلى أن عصر الكاردينال كوزانوس جعل للعقل سيطرة دينية يخدم قضاياه في حدود ما يتوافق مع الدين.

من ناحية أخري يوضح لنا كوزانوس أن الإنسان يملك قوة الأتحاد بالإله عن طريق الإيمان الذي ياتي نتيجة تقرب ومعرفة الإنسان بالدين وأن كله يستنيره من خلال عقله، وأن عقل الإنسان قد أنعم الإله عليه بجزء من فضله وهي نعمة الفكر والتفكير والتعقل، ويشير كوزانوس بأن الإنسان يسعي دائما أن يحصل على كماله العقلي الذي يمثل عنده جزء من الخلاص الآبدي، فمثلما يرغب الإنسان أن يكون دائما نقيا من دنس الخطيئه والاثام التي لحقت به في نفس الوقت يريد الحصول على الفكر الإلهي الذي يعطيه نعمة التدبر في المخلوقات والكون، فالإنسان عند كوزانوس هو كائن ومخلوق طاهر نقي إلا أن الخطيئه كانت سببا في تعاسته وشقائه في الحياة، فالإله أعطي للأنسان الكمال العقلي الروحي، فدائما سعي الإنسان من أجل معرفة الإله و الأتحاد بالكمال الإلهي، فقد بدأ الإله عملية الخلق والنشأة بالمخلوقات فالعالم لم يكن موجود ولا المخلوقات ولكن الإله نادي ببدء الخلق وتكوين العالم فاصبح العدم موجود في

(3) Nicholas Cusanus: On Peaceful Unity Of Faith , Translated By, Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America , First Edition Published 1990.P633.

حضـــرة الوجود الإلهي، فالإله هو المطلق، وكل ما تواجد في العالم حمل الكمال والخلود المحدود فكان وجود العالم متوافق مع وجود الإله([1]).

يذهب نيكولاس أن حياة الإنسان تنبع من الالتصاق بحياة الآب والشراكة معه كما أن روح الإنسان تحيي الجسد بقوتها المحيية، كذلك يهب الإله الآب الحياة الإلهية للإنسان ببهاء النعمة إلهيا ويحوزون على حياة إلهية. أما إهمال النفس للروح الإلهي المحي، فإنه يقودها الي ما تقوده هجرة الروح المحيية لجسد الإنسان يقودها الي الموت. وبمقارنته بين الملائكة والبشر على أساس الصورة والمثال يجد بالماس أن البشر يفوقون الملائكة من حيث الصورة ودونهم، فالملائكة المتشـحون بالنعمة والبهاء الإلهي هم أنوار ثابتة بعد الإله. فالكون نشـأة بقدرة الإله الآبداعيه الجمليه حيث حمل جمال الإله في الصـنع، فالإله هو المطلق غير قابل للتغيير أما غير ذلك فالإله جعله قابل للتعديل والتغيير لان الإله يضـــيف الآبداع والأنســـجام في الكون باســـتمرار فالإله أعلى ما يوجد في العالم وكل شـــيء مندرج منه فهو القداســـه التي تاخذ من المخلوقات تكوينها ووجودها([2]).

والحديث عن الفكر الثيوصوفي يجعلنا ننظر بعين المدقق فى عبارات القديسين الذين بفكرهم أناروا الطريق للبحث العقلي المعرفي ومن هؤلاء نجد يوحنا الدمشقي الذي تحدث عن الوجود الإلهي، فالخالق خلق المخلوقات وأعطي لها المعرفة دون الجهل، فالرب كما يراه يوحنا لم يتركنا في جهل تام دون معرفته، فمعرفة وجود الرب أودعها الرب في الكل بالطبيعة، فهذا الخلق كما يراه الدمشقي بكل ما يحويه من نظام وتناسق يدلنا حتما علي سيادة

(4) Nicholas Cusanus: Dialogue On The Genesis Of All Things, Translated By ,Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America ,1959,P397-149.

(5) Nicholas Cusanus: Dialogue On The Genesis Of All Things, Translated By ,Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America ,1959,P398-151

الطبيعة الإلهية، لقد أمدنا الرب بمعرفته عن طريق الرسـل والأنبياء وعن طريق ابنه الوحيد المولود، فالرب هو الخير وهو الوجود، وهو العلة الأولي لكل الخيرات، فهو لا يخضـع لاي معاناة أو أي افتقار، وهو العالم بكل شيء، يدلنا علي وجوده بالمعرفة التي أودعها إيانا، بقدر استيعابنا لها(١).

نجد أنه يطلق اسم الثيوصـوفيا اليوم على الجمعية التي أسـستها هيلنا بلافاتسكي التي تبنت الفكر الباطني في أمريكا وعلى التعاليم التي قامت بنشـرها وترويجها ومن هنا نجد أن تعاريف الثيوصوفيا تعددت وتنقسم كإلاتي:

١- تعريفات الموسوعات والمعاجم اللغوية، وهي تعريفات حيادية، ونقدية غالباً. ومنها ماأصله عربى ومنها المترجم الذي ينبغي أن ينتبه فيه إلى أخطاء الترجمة الشائعة بشكل عام وكل ما يتعلق بالعقائد الدينية التي تفسر المعني ما يخدم معتقدها الديني السائد.

٢- تعريفات رواد الفكر وأتباعه كان يغلب على هذا إلاتجاة إلاسـلوب الدعائى وذلك من أجل استمالة القارئ وإقناعه بمعتقدهم وتعريفهم.

٣- تعريفات نقدية كتبها نصـارى محافظون من أجل أن تبرز الجوانب العقدية للفكر، وما يشكله من خطر على الدين المسيحي وقد اعتمد هذا إلاتجاه على اسلوب المبالغة(٢).

أن الثيوصـوفيا ما هي إلا نظام تفكير فلسـفي ديني خالص لكنه غير إسـلامي. يقوم على أساس أدعاءات بالتصبر الباطنى في ملكوت الله سواء في طبيعة الإله أو قوانين الكون،

---

(٦) محمد سليمان: اللاهوت العقلي عند القديس أنسلم، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب جامعة بنى سويف، ٢٠١٤،ص ٩٧.

(٧)- مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي: الثيوصـوفيا دراسـة لقضـية الألوهية في الفكر الثيوصـوفي الحديثة، مرجع سابق ،ص ٢٥،٢٦.

وهذا ما يجعل الثيوصوفي يعتقد بأن أصدق المعارف تأتى عن طريق أتصال الروح بالحقيقة الإلهية وليس عن طريق العقل أو الحواس.

فاذا نظرنا عند الفلاسفة المسيحيين نجد هناك مبدأ أساسي هو : لا شيء مستقل عن الله. وأن الكون يرتبط بالله بعلاقة اعتماد أنطولوجي فالأشياء لا توجد إلا بفضله، وتستمر في الوجود بفضله أيضاً. هناك جانب فيزيقي مقابل لهذه الحقيقة الميتافيزيقية وهو إن كل ما يوجد هو شيء في ذاته ولذاته. أي ان المخلوقات مع اعتمادها الإنطولوجي الإساسي على الله فإنها تملك وجوداً خاصاً بها وتستمتع بجميع الصفات المترتبة على الوجود(١).

وإذا تتبعنا مذهب وحدة الوجو ؛ سوف نجد –على سبيل المثال– أنه يضرب بجذوره في الفكر اليوناني، وخاصة في المدرسة الرواقية عند ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (١٦١ – ١٨٠)، بقوله: "انظر دائماً إلى العالم على أنه كائن حي واحد يتكون من مادة واحدة وروح واحدة، انظر كيف يذوب الكل في هذا الوعي الواحد؟ ، كيف تخضع كل أفعاله لنزوع واحد؟ ،كيف تتعاون الأشياء جميعاً في كل ما يحدث ؟، انظر أيضاً إلى الغزل الدائم لخيط الشبكة ونسيجها(٢)، وكذلك عند أفلوطين ٢٠٥م–٢٧٥م Plotinus بقوله(ليس الواحد بكيف ولا بكم،وليس روحاً أو نفساً،لا يتحرك ولا يسكن،لا يقيم في مكان أو زمان، بل هو المثال الفرد المقيد بما كان عليه في ذاته(٣).وفى الفكر الإسلامي نجده ممثلاً عند محيى الدين بن

(٨)– إتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة،ط٣ سنة ١٩٩٦،ص ١٨١.

(٩)– ماركوس أوريليوس: التأملات،ترجمة عادل مصطفى، ومراجعة د.أحمد عتمان،دار رؤية للنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠، ص٣٠٩.

(١٠)– أفلوطين: التاسوعات، نقله إلى العربية: فريد جبر،وراجعه: جيرار جهامى، وسميح دغيم، مكتبة لبنان، ط ١،١٩٩٧، ص ٦٩٢.

عربي حيث يقول (إن الله تعالى إله واحد،لا ثاني له في ألوهيته،منزه عن الصـــاحبة والولد، مالك لا شـريك له،صـــانع لا مدبر له، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود ســـواه، مفتقر إليه في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصـــف بالوجود لنفسـه)([١]).وفى الفلسـفة الحديثة كما هو الحال عند "سـبينوزا" بقوله "هناك وجهان يسـيران في واحد، الطبيعة الطابعة Creating nature وهى ما يكون في ذاته ومتصوراً بذاته،أي صفات الجوهر Substance التي تعبر عن ماهية أزلية ولا متناهية Eternal infinite ، والطبيعة المطبوعة Created nature ؛ وهى كل ما ينتج عن وجوب الطبيعة الإلهية ؛ أي كل ما ينتج عن وجوب كل صـفة من صـفات الله، وأعنى بها كل أحوال صـفات الله باعتبارها أشـياء موجودة في الله ولا توجد بدونه، وكل ما في الطبيعة يصير جوهراً واحداً وهو الله "([٢]).

أولاً: إلاعتقاد بالفيض عند كوزانوس وفي الفكر الثيوصوفي:

نجد أن المطلق في الفكر الثيوصوفي كامناً لا إرادة له ولا فعل، وهو مع ذلك المصدر والإاصـــل والعلة لوجود العالم، كان لابد من تفســـير ذلك، فلا يعني كونه مصـــدراً أنه خالق الموجودات من العدم، وإنما يعني كونه علة، أي جميع ما في الكون فاض أو انبثق عنه، أو يعد تجلياً له.

أما الفيض عند نيكولاس يتمثل في الثالوث المقدس، وان الإله يعلن عن نفســـه من خلال الثالوث المقدس فهو إلاتحاد بالملكوت الإبدي، والمساواه فى الطبيعه الإلهيه للآب الإله

(١١)– محيى الدين بن عربي : الفتوحات المكية،الســفر الأول، تحقيق وتقديم: د.عثمان يحيى، ومراجعة د. إبراهيم مدكور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ١٦٣.

(١٢)– اسـبينوزا :علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سـعيد، دار الجنوب للطباعة والنشـر، تونس، ١٩٩١م، ص ٣٣–٦٧.

وللابن الإله المتمثل فى شخص يسوع المسيح لانه مبارك وعظيم من الخالق الآب انه الإله خالق المخلوقات و يسوع المسيح نفسه والإله المقدس الذى خلق العالم واوجد كل شى، هو الآبديه السماويه لقد وضع الإله في قلب الإنسان الرغبة في معرفة مصدره وغايته ومصيره قد وُهبت معرفة الإله للإنسان ليس لإرضاء فضول العقل البشري الإله هو مصدر ونهاية كل شيء، غير مخلوق، كامل، كائن حتمي، لانهائي، أزلي أبدي، كلي الحضور، كلي المعرفة، كلي القدرة، خالق، مخلص، ومتمم كل شيء، كلي الوجود والسمو في نفس الحين، قدوس موجود في وسطنا، كامل الحرية، روحي، مستجيب، طاقاته ممتازة، مقدسة، صالحة، عادلة، جوادة، محبة، كريمة، رحيمة، صابرة، ومن ثم مباركة ومبتهجة أبديا قداسة الإله لا تضاهى في الجمال يخلق الإله كل شيء بحرية كاملة، لا يوجد أي ضغط خارجي أو ضرورة على الإله لكي يخلق عالما، أوجد الإله المخلوقات حتى يفيض عليها بخيراته، يسمو الخالق فوق كل خليقته لا يضمحل خير الإله وكينونته بفعل الخلق لم يفقد الإله جزءا من كينونته عندما خلق العالم والمخلوقات(١).

أما عن قول المطلق في فلسفة كوزانوس فنجده انه يوضح أن الإله هو المطلق وأن آتحاد ووحدانيه الآب هى المساواه للابن، كل خلق الشيء يحمل صورة القوة الآبداعية الإلهيه وبطريقتها الخاصة الخالقه، الإله شخص حى، ليس جسما ماديا، يمكن ان يرى ويلمس، او يدرك بالحواس لكن الإله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى ان يسجدوا وهوايضا ابو إلارواح، اذ خلق الإنسان على صورته كشبهه، وأن لكل من إلاقانيم الثلاثة ما للاخر من إلالقاب والصفات الإلهية وان كل من الآب والآبن والروح القدس يستحق العبادة وإلاكرام نجد

(13). Nicholas Cusanus: On Peaceful Unity Of Faith , Translated By, Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America , First Edition Published 1990.P645.

انه كما للآب من كرامه وقداســـه وتعالى وطاهرة كذلك الآبن ليكرم الجميع الآبن كما يكرمون الآب، فى التمايز الثالوثى نجد ان كلا من الآب والآبن والروح القدس يقول عن ذاته انا كما أن كلا منهم يقول للاخر انت ويقول عنه فى الغيبة هو كما أن الآب يحب الآبن والآبن يحب الآب والروح القدس يشهد للابن ويمجده (١).

الفيض في اللغة يدل على جريان الشيء بسهولة وهنا نجد أنه يقال عليه أفاض إناءه أى اكتمل، أما فى الفلســـفة، هو صـــدور جميع الموجودات عن مبدأ واحد أو جوهر واحد، ففيض العالم عن المطلق كما يفيض النور عن الشـمس. وبالنظر إلى أصـول الثيوصـوفيا، يتبين أن عقيدة الفيض ملازمة لاعتقادهم بالمطلق، ففي الهندوســية يعتقد أن الكائنات تولدت من براهمان كما ينطلق الشـــرر من النار المتأججة.وفي الفلســـفة اليونانية يقول أفلوطين: " الخير المحض هو إلاول الذي يفيض الخير على الأشياء فيلبسها الخير مثلما تلبس الشمس إلاجسام نوراً تشرق به"(٢).

تعطى المؤثرات اللاهوتية في مذهب نيكولاس كوزانوس إلاولوية القصـــوى لشـــرح الحقائق الدينية بالعقل وتبريرها؛ وذلك من أجل فهم الدين المسيحي عقلانياً، خاصة وأن اتجاه كوزانوس اللاهوتي لم يكن اتجاهاً تقليدياً، بل كان دفاعياً برهن من خلاله على مصـــداقية العقيدة المسيحية من جانب، وتمهيد سبيل إلايمان أمام العقل البشرى وحمايته من الشك، أي أن هذا إلاتجاه مع أنه يلجأ إلى أدلة العقل، إلا أنه يخضـــع لنور إلايمان، وهذا الدفاع يكون

(14). Nicholas Cusanus: On Peaceful Unity Of Faith , Translated By, Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America , First Edition Published 1990.P645.

(15)– مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي: الثيوصوفيا دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديثة، مرجع سابق ،ص ٢٥،٢٦.

موضـوعه لا المصـداقية العقلانية فقط، بل مصـداقية الموحى البشـرية أيضـاً، وتبريره أمام الإنســـان بكامله، ويؤلف مع العلاقات الخارجية التي تؤكد كلمة الله (نبوءات، ومعجزات)، وقوانين الذاتية الدينية التي تساعد الإنسان على الإستماع لها والموافقة عليها(١) ومن ثم، لم يقتصر كوزانوس على دراسة القضايا الدينية ومناقشتها من منظور الفلسفة المسيحية؛ وإنما اتسعت ثقافته ليشمل دراسة الإديان السماوية، وعقائد الشرق القديم، وثقافته مقارنة بالعقائد المسيحية كعقيدة التثليث والتجسد والخطيئة الإصلية، ويتناولها إما بالفحص والتحليل أو بالنقد والتفنيد. وعلى ضـوء ذلك، ذهب كوزانوس إلى أن الفكرة الرئيسـة لمذاهب الديانات الشـرقية القديمة كانت تدور حول الإعتقاد "بمذهب الكارما Karma(*)، الذي يحدد طبيعة الخير والشـر تبعاً لنتائج الإفعال التي يقوم بها البشـر، والعواقب الناتجة عنها؛ فالإفعال المسـتقيمة تخلق الخير والسـعادة في المسـتقبل، والإفعال غير المسـتقيمة تخلق المعاناة والإلم pain ، وتؤدي إلى الشر، غير أن هذا المذهب من وجهة نظر كوزانوس لا يوضح طبيعة الإله ودوره في عملية الخلق في الوقت الذي تتعدد فيه الدلائل على عظمة الإله، وقدرته اللانهائية، ويرجع ذلك إلى أن هذا المذهب أخذ صـوراً وأشـكالا مختلفة من خلال عقيدة تناسـخ الإرواح

---

(١٦)– كريستيان فنسبان ، حسن حماد، وآخرون : قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مرجع سابق ، ص ٢٥٩.

(*) أحد الشعائر الدينية في العقيدة الهندوسية،وهى قانون العقل الذي يحدد نوع الحياة المقبلة للروح عند موت الفرد، بمعنى أن سـلوك الإنسـان في الحياة يحدد نوع حياته المقبلة التي تبدأ بالميلاد الثاني،فإذا كان سـلوكاً روحياً فإن الروح تصـعد في طريق العودة إلى الروح العام، وتتحد به وتنال النعيم الأبدي، وإن كانت ما تزال متشبثة بالماديات والشهوات فإنها تضل طريق العودة ، وتتجول وتحل بأجساد أخرى .(عبد المنعم الحفنى : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق ، ص ٦٧٦).

Reincarnation[1](**) التي رسخت في معظم الديانات الشرقية القديمة كالبوذية،والهندوسية، والكونفوشوسية.

ووفقاً لهذا يرفض كوزانوس – متفقاً مع أوغسطين(*) – القول بأن الإله مادة تمتلك خصائص متعددة، فالإله ينبغي أن يطلق عليه صـــفة الكينونة، فصـــفاته هي عين ذاته في جوهرها،

(**) مصـطلح تناسـخ الأرواح يعنى إعادة تجسـيد الإله،وهو من المعتقدات الشـائعة بين الهنود،وعند بعض الفرق الإســلامية،وهو بمعناه الواســع عقيدة تعاقب الحياة وعودتها إلى الدنيا،وللتناســخ معنى آخر يدل على فيض الروح الإلهي على الكائنات في هذه الدنيا. وغلاة الشـيعة يقولون بالتناسـخ وحلول المبدأ الإلهي أو جزء منه في بعض الناس.(أنظر: كريستيان فنسبان ، حسن حماد، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٨٦).

(*) تتصـف ماهية الله عند القديس أوغسـطين تقر بأنه الكائن القائم بذاته وفى ذاته، أي أنه الكائن اللامادي البسـيط والواحد،وهو الموجود الأزلي الأبدي،الدائم، اللامتغير، موجود في كل مكان دون تموضـع في مكان، وهو الخير الأســمى والصــورة الأبدية لكل الجمالات، وقد أثبتت براهين أوغســطين أن الله موجود، وهو علة الحقائق الأزلية الأبدية، والفكرة الموجودة في نفوســنا عنه تقضـــى وجوده،إنه علة الفكرة الأزلية ،وعلة نظام الكون، وعلة التغير في هذه المخلوقات. وهذا يعنى أن فكرة الله عند أوغســطين تســتلزم وجوده، والله يوجد الأشـياء على مثال معقولاتها. والمعقولات هذه هي في ذات الله . فيشـاهدها الله في ذاته، لا في عالم آخر هو أدنى منه. الأمر الذي يتشـــابه معه موقف أفلاطون ، بمعنى أن عالم المثل الذي نادي به أفلاطون هو عند أوغسـطين قائم في عقل الله .وليس هو عالم قائم بذاته.أما أفلوطين فيضـع عالم المثل (عالم المعقولات، عالم الماهيات) في مرتبة أدنى من الله هي العقل الكلى، كما أن الله لا مادي بعكس الاعتقاد المانوى الذي يقوم على عقيدة حسـية ترى في الله نوراً ، أي جوهراً جسـيماً يلمع شـديد السـناء. فالله هو خالق العالم، مسـبب الأشياء، ومصدر لكل موجود ، ووجه التشابه بين أوغسطين وسوينبرن يظهر في صفات الله بعلمه المطلق ، وقدرته الكلية ، وتنزيهه عن الزمان والمكان . يقول أوغســطين : " إن الله يعرف كل شـــيء قبل أن يكون ، وإراداتنا تعمل ما نعرف، وكل ما نشـــعر بأننا لا نعمله لأننا نريد. وإن كانت للإرادة حرية الاختيار، فلا عمل للقدر، وإن لم يكن للقدر من عمل، فنظام الأشـــياء ليس ثابتاً، وان لم يكن ثابتاً فلا مجال لـه في علم الله المسبق ، فلا حدث دون سبب فعال ، وكل سبب فعال يتبعه مسبب أول، وهو الله مصدر لكل الأسباب في الوجود " .، إذن فالله مطلق وثابت، والأشياء تتبدل وتتغير، وبالتالي فهي ليست علة وجودها، وإنما العلة هي

وخصائصها، أي أن صفات الله الجوهرية هي ما تكون لله دون سواه (أي دون أن يكون هناك له مثيل)، فإن كان هناك إله آخر غير الله (يحمل صفات الإله الحقيقي نفسها) . فكان من الطبيعي أن يكون هناك كائن آخر يحمل صفات الإله الحقيقة نفسها، وسيصبح حينئذ إلهاً حقيقياً. ولكن الإله متفرد بطبيعته، ذو ماهية واحدة، وجوهر واحد، وليس له صفة عارضة أو كائن شبيه مثله،وهو ليس صفة عارضة ينتابها التغير بقدر ما تتسم بالثبات المطلق، ومن ثم إن ماهية الإله هي كينونة ملازمة للوجود من الناحية المنطقية، وكذلك من الناحية الانطولوجية بحيث يصبح وجود الإله وجوداً حقيقياً ليس مرهوناً بشيء عارض أو أي شيء آخر ، فليس هناك أي شخص آخر أو أسباب فيزيائية أو ميتافيزيقية تكمن وراء وجود الله أو تساهم في وجوده ، لكن يعتمد كيفية فهمنا لهذا على ما إذا كان هناك أكثر من إله واحد، الامر الذي يتعارض مع عقيدة التوحيد أو الإيمان بإله واحد([1]).

يبين لنا يوحنا بأن الفيض الإلهي يتمثل في حقيقه أن كل شيء موجود تم خلقه وإيجاده من قبل الإله، لأن الإله هو شي واحد، كما انه متماثل فى كل شى، فهو كل شى موجود، فالإله قادر على ان يكون فى.

لقد رضي الإله في جودته وحكمته أن يكشف لنا ذاته ويطلعنا على سر مشيئته، الذي يوصل الناس إلى عند الآب بواسطة المسيح الكلمة المتجسد، وفي الروح القدس، ويصيرون به شركاء في الطبيعة الإلهيه، تلك بادرة مجَّانيَّة على الإطلاق، تصدر من عند الآب لتتدارك

كائن أسمى لا يتغير، وهذا الكائن هو الله . (أنظر: أوغسطين : مدينة الله ، نقله إلى العربية : يوحنا الحلو، دار المشرق ، بيروت – لبنان ، ط٢، ٢٠٠٦، المجلد الأول ، ص ٢٣٣. ، وأيضاً : على زيعور: أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، دار أقرأ للترجمة والنشر، بيروت – لبنان ١٩٨٣م ، ص ١٤٩، ١٥٠ ، ١٥٦) .

18)- Ibid, P. 14 – 15.

البشرية وتخلصها، إن الإله، بوصفه ينبوع حبّ، يريد أن يعرفنا ذاته، وما يحصّله الإنسان من معرفة الإله يساعده في استكمال كل معرفة أخرى تتعلق بمعنى وجوده، ان الإيمان الذي يستنير ويهتدي بالروح فهو يجد في بشرى الخلاص ملء النعمة والحق الذي أراد الإله أن يكشفه لنا في التاريخ وبطريقة حاسمة بابنه يسوع المسيح، الحقيقة التي وكلها الإله إلى الإنسان في شأن ذاته وفي شأن حياته تتدرج إذن في الزمان وفي التاريخ، ومن الثابت أن هذه الحقيقة نُطق بها مرة واحدة في يسوع المسيح، وهذا ما ورد بوضوح إن الإله، بعد أن تكلم بلسان إلانبياء مراراً عديدة، وبأساليب مختلفة، كلَّمنا في هذه إلايام إلاخيرة بالآبن، فلقد أرسل الإله ابنه، الكلمة إلازلي، الذي ينير كل البشر، ليسكن بين الناس، ويطلعهم على أعماق الإله، فجاء يسوع المسيح كلمةً متجسداً وبشراً رسولاً إلى البشر، ينطق بكلمات الإله، ويُجري عمل الخلاص الذي أعطاه الإله أن يتمّمه ولأن من رآه فقد رأى الآب جاء يسوع ليعيش بين البشر ويظهر لهم ذاته، بأقواله وأعماله ثم بآياته وعجائبه، وخاصة بموته وقيامته المجيدة من بين إلاموات وأخيراً بإرساله روح الحق، ويُنجِز هكذا الوحي ويتممه(١).إن وجود الإله يعتبر حقيقة واقعية لما يحدث في العالم، فإلايمان بوجود إله معناه إلاعتقاد بأن هناك إلهاً حاضراً، يعطى لنا تعليلاً وتفسيراً للأحداث التي تجرى في هذا العالم سواء أكانت ظواهر طبيعية، أو مادية، أو نظريات تطبيقية في الحياة، وهذه الآبعاد المشتقة من هذا إلافتراض يمكن استنباطها من مجموع المعلومات المعطاة أو الحجج المحددة التي يمكن ملاحظتها، ومن ثم تقوم فرضية التوحيد على إلاعتراف بوجود كيان واحد فقط (إله واحد، وليست آلهة متعددة)، فالشخص الذي تكون معرفته وحريته،وقوته، وحياته ليس لها حدود هو النوع البسيط Simple . الشخص

(19). Nicholas Cusanus: A Concise Introduction To The Philosophy Of Nicholas Cusanus , Translated By, Jasper Hopkins ,Library Of Congress , United States Of America , First And Second Editions Published By The University Of Minnesota Press (1978 And 1980) .P920.

الذي يشار إليه بالنسبة للبشر، فإذا كان للبشر صفات وخصائص تميزهم عن بعضهم البعض، فتلك الصفات تكون قابلة للتغيير والتبديل، ولكن الإله كشخص يمتاز بالثبات المطلق، والكمال اللامتناهى، وحتى صفاته فريدة من نوعها فلا يتغير، ولا ينقسم، وليس جزءاً من الكون، وهو ليس فرداً ينتمي إلى أي جنس أو نوع، كما هو الحال عند البشر، ووفقاً لذلك يمتاز الإله بالبساطة التامة، فمثلاً : من الممكن للإنسان تحديد طبيعة التمييز بينه وبين شخص آخر في الطول، والوزن، واللون، وقد تتغير حالته عما كانت عليه في السنوات الماضية بمرور عشر سنوات، وحينئذ يصبح معيار التغير الزمني هو الوسيلة التي نحكم بها على هذا الشخص وغيره ؛ويختلف الحال بالنسبة للإله، فالإله يكون مطابقاً لذاته على الدوام دون أن يعتريه أي تغيير في الذات والصفات،وتكون بساطته وكماله خير دليل على ثباته ودوامه للأبد (١) . يكاد يكون نيكولاس كوزانوس يتفق مع الفيلسوف الوجودي "جان بول سارتر" – فيما يتعلق بمسئولية الإنسان عن أفعاله، وتحمله لنتائج هذه إلافعال – حيث ذهب سارتر في كتابه الوجود والعدم إلى أن الإنسان مسئول عن نفسه بوصفه حالة وجود، وتعنى كلمة المسئولية هنا الشعور بأن المرء هو الفاعل الذي لا شك فيه لحادث أو شيء. أنني أجد نفسي مسئول عن ما يحدث في حياتي من أفعال اقترفتها، حتى رغبتي نفسها مسئول عنها كذلك، ومسئول أيضاً عن أن أجل نفسي سلبياً في العالم، وأن أرفض أن أؤثر في الأشياء وفى إلاخرين، إذن لا أجد غضاضة من الهروب من هذه المسئوليات تجاهي، وتجاه إلاخرين(٢).

(20) - Ronald H. Nash : The Concept Of God ,Cambridge University Press , 1983 , P. 8 - 9.

(٢١)– جان بول سارتر : الوجود والعدم " بحث في الانطولوجيا الظاهراتية " ، ترجمة : عبد الرحمن بدوى ، منشورات دار الآداب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٦٦م ، ص ٨٧٣ ، ٨٧٦،

ثانياً: الحقيقة الإلهية والثيوصوفيا:

أن الإله في تصور نيكولاس كوزانوس شخصي فهو أمامنا ظاهر، فهو معلن صراحة في الكتاب المقدس أن السـلطه والكمال والقوة التي توجد في المخلوقات أنها من قدرة الإله الخالق فهو الذي يجعل البشـر مولودين ويحملون كماله الإلهي، كذلك اسـتمرار الخلق والمخلوقات ووجود فعل وعمل الإله فهذة حقيقة عن فعل الإله المستمر في العالم، فكل شيء يدل علي وجود الإله، لان المخلوقات توجد بداخلها شـراكه مع الخالق، فالخالق مطلق واحد وما يندرج بعده من المخلوقات تكون نتيجه عن نعمته وحفظه للخلق الدائم. فالإله يمييز دائما بين خلقه الانسان على صورة الإله فهي لم تأت مصادفة أو مجازا أو بالمشابهة، بل أتت لأن الإنسان هو صورة الإله من حيث أنه شخص وله وجود شخصي، وأن كمال الحياة فى وجود المحبة المشتركه فى شخصين الآب والأبن، فالاتحاد بين الآب والأبن يجعل المؤمنين ينعمون بالنعمه المقدسـة والدخول لملكوت الإله الإبدي، بل وأن طاقه الحب الإلهى التى جعلها الإله بين الاشخاص تجعل ممكن الاتحاد بيسوع المسيح، بحيث تجعل الانسان ذى الطبيعة البشرية شريكا للطبيعة الإلهية، الإنسان يكون مشتركا مع الإله ويصير مثله ليس فى الجوهر بل فى الصفات([1]).

يقول كوزانوس أن وجود الإله هو حقيقة ألهية حيث أنه منذ بداية الخلق والإله، واحد خالق كل شيء، والوجود خير وأن الاله هو من يجعل الافكار مرتكزة في العقل البشري، لأنها ماخوذة من الفكر والفكر في الحقيقة هو الاله، فمنذ نشـأتنا وبدايه الخلق، والافكار تأتي الينا

(22). Nicholas Cusanus: Dialogue On The Genesis Of All Things, Translated By ,Jasper Hopkins, Library Of Congress, United States Of America,1959,P398, 399-152.

من الخالق لان طبيعتة الخير والفكر يحمل الخير الالهي من الخالق([1]) ومن ثم علينا قبول حقيقة أن هناك إلهاً بالايمان،"وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ "([2])، ومن جانب آخر، يؤكد كوزانوس على أن الإله كائناً له وجود شخصي متجسد في يسوع المسيح، إذن فالإله جوهر Substance واحد بسيط وكامل، وهذا الجوهر يشمل الإله من حيث طبيعته وخصائصه، فيحوى الوجود، أو الكينونة Being (الآب)، ويحوى العقل Mind (الآبن) ونرى فيه الحياة Life فأن معنى القول أنه يوجد إله هو أنه يوجد شخص إلهي واحد، تنسب له القدرة والعلم والحرية المطلقة والآبدية، كما أنني سوف أطلق عليه "الإيمان" نظرا لأنه مذهب تشترك فيه المسيحية، واليهودية، والإسلام وأديان أخرى كثيرة، وهو في الغالب له دلالة رمزية فسوف أشير إليه بالرمز (هو) – أي الإله ، وهذا الإله ليس ذكراً ولا أنثى، وغير محدود في كل الجوانب، ولا يعتمد في وجوده على أي شيء، ولا يقوم بأفعاله استناداً على أحد، بل تكون أفعاله، وأعماله بإرادته وقواه.ومن زاوية ثالثة إن الإله (كما فهمه كوزانوس) واحد في ذاته وصفاته، والوحدة لا تقسم الجوهر الإلهي إلى أجزاء، فالإله واحد في ذاته لا ينقسم، ولا يتعدد، وهذا يتماشى مع ما أقره قانون إلايمان المسيحي[3](*) الذي يقر بإله واحد، وطبيعة واحدة ذات أقانيم ثلاثة الآب والآبن والروح القدس.

---

(23) Nicholas Cusanus: On The Pursuit Of Wisdom , Translated By,Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America ,1998,1293-22.

(٢٤)– العبرانيين (١١ : ٦)

(*) يطلق على هذا القانون دستور المسيحيين، وهو أشبه بعلامة تميز المؤمن بالعقيدة المسيحية عن الذي ينكرها ، مصدره الكتاب المقدس، تدور بنوده حول إثبات ألوهية الأقانيم الثلاثة وتجسد وصلب وموت وقيامة المسيح، وتلك البنود هي "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور،نور من نور إله من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر الذي به كل شيء، الذي من أجلنا نحن

إن مبدأ الذات أو الشخص ليس تصوراً مجرداً، بل هو الواقع الإاساسي الجوهري الذي يصف طبيعة الحياة ، فليس الجوهر هو الذي يمتلك الإولوية، أو حتى الرفعة والتفوق في الإله، والذي يحدد بالتالي الإقانيم الثلاثة في علاقاتهم المتبادلة. ليس في الإله ما هو خارج عن المبدأ الإقنومى. إن سر الإقانيم الثلاثة لا يسبر غوره. وإن تحديد ذاتهم في الآبدية هو فعل لا بداية له. لم توجد، ولا لحظة لم يكن فيها للآب ابن أو لم يكن قد انبثق الروح القدس. بدء الكل هو الآب الذي في فعل ولادة الآبن نقل إليه ملء طبيعته وجوهره .وهذا عينه ما حدث في فعل انبثاق الروح القدس .ومن ثم نستطيع القول إذن، إن الإنسان– إلاقنوم– الشخص هي مسميات للمبدأ الإاسمى، وهو الكائن المطلق أو الحضور الكلى، وهو الإله كما تصوره نيكولاس، بل إن أقنوم الله لا يحده وصف لأنه يعلو ويفوق كل تحديد له مهما كان نوعه، وهو لا يعرف عقلياً،لكن يمكن معرفته كياناً وجودياً، وذلك بقدر الكشف الإلهي وإرادة الله في إعلان ذاته للإنسان(١) .

فالإله الواحد الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه، وهذا هو الثالوث المقدس، فالآب هو الموجود بذاته، ولا يحتاج في وجوده إلى غيره، وهو الجوهر، والقوام، والإاصل لأنه

البشر ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء وتجسد من الروح ومن مريم العذراء وتأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي وتألم وقبر،وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآبي،وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء، فالمسيحيون يؤمنون بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي يسجدون له ويمجدونه مع الآب والابن الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ويعترفون بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ويترجون قيامة الأموات، وحيوة الدهر الآتي .. " (أنظر: يوحنا سلامة: اللالىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، مكتبة مار جرجس ، القاهرة ، ج١ ، ط٣ ، ١٩٦٥، ص ٣٩٢–٣٩٣)

(٢٦)– صفرونى سخاروف: معاينة الله كما هو، نقلته إلى العربية : هدى فؤاد زكا، منشورات النور،بيروت – لبنان، ١٩٨٨، ص٢٩٠ – ٢٩٢.

ليس بحاجة لآخر، وهو ناطق بكلمته، ويطلقون عليه الآبن ،والكلمة أي المسيح، أو اللوجوس، وهو حي بروحه، ويطلقون على ذلك الروح القدس فلا يمكن أن الله الذي خلق الحياة يكون هو نفسه غير حي بروحه([1]).وفى الحقيقة إن هذه إلاقانيم الثلاثة يمتلك كل منها صفات تميزه، ووظيفة يختص بها، فهي تتفق في وحدة الجوهر، وتختلف في مدلول إلاقنومية، لأن كل أقنوم منها له خاصية غير خاصية إلاخر مع وحدة الجميع في الجوهر ،وهذا هو السر في كوننا نعترف بإله واحد مع اعترافنا بثلاثة أقانيم،واعتبارنا كل أقنوم إلهاً تاماً دون أن ينسب إلينا إلاعتقاد بثلاثة آلهة، فالجوهر المشترك للأقانيم الثلاثة يجعلها كصانع واحد، وهى متساوية في المجد والقدرة، مختلفة في الخصال، فالآب مميز بالآبوه، والآبن مميز بالبنوة،والروح القدس مميز بإلانبثاق، لكي يدوم عدم إلاختلاط في إلاقانيم الثلاثة القائمة في الجوهر الواحد الذي لا يتجزأ، ولا يحصى، وكلمة جوهر يراها العقل في الثالوث على معنيين: إما بمعنى جوهر عام مشترك فيتضمن الثلاثة أقانيم، وهذه الثلاثة إله واحد، وإما بمعنى جوهر خاص فيفترق بخاصته افتراقا غير ملفوظ،وذلك يميز ذات أقنومه([2]).إضافة إلى ذلك، إن هذه إلاقانيم الإلهية تتمايز فيما بينها تميزاً حقيقياً. فالله واحد ،ولكنه غير متوحد، فالآب والآبن والروح القدس ليسوا مجرد أسماء دالة على كيفيات للكائن الإلهي، إذ أنها متمايزة فيما بينهم بعلاقات مصدرهم، فالآب هو الذي يلد، والآبن هو المولود، والروح القدس هو الذي ينبثق، وتصبح الوحدة الإلهية ثلاثية في طبيعة الوظيفة المخصصة لكل واحد منهم على حدة، واحدة في إلاصل أو المصدر([3]). وبما أن هذه إلاقانيم ليست مركبة فهي إذن تتساوى في الجوهر، كل

---

(٢٧) جيمس أنس : علم اللاهوت النظامي ، مرجع سابق ، ص ١٩٣.

(٢٨) دانيال داوود: العقود اللؤلؤية في شرح عقائد وأفضلية المسيحية، منشورات مطبعة دير السيدة العذراء،القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص٦٠- ٦١

(٢٩) يوحنا بولس الثاني : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، مرجع سابق ، ص ٦٧.

واحد منهم اله واحد غير منقسم في المشيئة، والفعل، والسلطة، والسبب في ذلك مرده التساوي في الأزلية ووحدة الجوهر، فهي واحدة وهى ذاتها واحدة لا ثلاثة، فلكل منهم بالنسبة لغيره ليس أقل مما له بالنسبة لنفسه.أي أن الآب، والآبن، والروح القدس واحد في كل شيء فيما عدا الولادة والإنبثاق، وهذا التمييز يكون بفعل التفكير، فنعرف الله واحداً، ونعرف في وحدة خواصه الآبوة والبنوة والإنبثاق، ونفهم الفرق على حسب العلة، والمعلول، وكمال كل أقنوم،أي طريقة وجوده،فلسنا نستطيع القول بانفصال مكاني في اللاهوت غير المحدود، لأن إلاقانيم بعضها في بعض،لا على طريقة إلاختلاط بل التواجد على نحو قول الرب "أنا في الآب، والآب في"ولسنا نقول باختلاف في إلارادة أو الرأي ،أو الفعل، أو القوة أو أي شيء آخر ،إلامر الذي يحدث إلانقسام الفعلي الذي فينا في كل شيء، لذلك لا نقول بآلهة ثلاثة (آب،وابن،وروح قدس) بل بإلاحرى بإله واحد الثالوث القدوس، مرجع الآبن والروح فيه إلى علة واحدة بدون تركيب،ولا اختلاط، فهم متحدون ولا انفصال أو انقسام بينهم([1]). لم يختلف الوازع الديني الذي نشأ عليه كوزانوس كمسيحي الديانة، لاهوتي الفكر، في إقراره بوحدانية الإله، أو بمعنى آخر عدم اعترافه بثلاثة آلهة، بل بإله واحد ذي أقانيم بثلاثة، فإلاقانيم الإلهية لا تتقاسم في إلالوهية، ولكن كل واحد منهم هو الله كاملاً، فالآب هو ذات ما هو الآبن، والآبن هو ذات ما هو الآب، والآب والآبن هما ذات ما هو الروح القدس، أي إله واحد بالطبيعة، فكل أقنوم من هذه إلاقانيم الثلاثة هو هذه الحقيقة أي الجوهر، وإلانية، أو الطبيعة الإلهية([2]) .هذا يعنى أنه لا تركيب في الثالوث الإلهي، لأن لكل من الثلاثة أشخاص أقنومه الكامل،وفى الوقت نفسه نقول إن في إلاقانيم الكاملة جوهراً بسيطاً واحداً فائق الكمال

(٣٠) يوحنا الدمشقي : المئة مقالة في الإيمان الارثوذكسى ، مرجع سابق ، ص ٧٠- ٧٢.

(٣١) يوحنا بولس الثاني : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، مرجع سابق ، ص ٦٦ – ٦٧.

وقبل الكمال.لأن كل مجموعة من غير كاملين تكون حتما مركبة،ولا يمكن إيجاد مركب من ثلاثة أقانيم .لذلك فإننا لا نتكلم عن نوعها ،بل إنها في أقانيم.

ثالثاً: الثيوصوفيا بين العقل والدين:

هنا يتحدث كوزانوس أنه يؤمن بالعلاقة التي بين العقل والدين وهذا ما نجده في عبارته التي تحث على تدبر العقل في أمور الدين الألهية "أفكر به في هذا الشأن" والمقصود هنا هو الدين وكيفية الوصـــول للإله عن طريق العقل, وهنا فقد أعطي كوزانوس مجالاً للعقل للتفكير فيؤمن كوزانوس ما يلي (١) المطلق نفسه هو سبب كل شيء. (٢) الخلود المطلق هو بعيد المنال (٣) يوضح كوزانوس بأن في حالة الوصول للأبدية يجعلنا نؤمن بأنه لا يوجد حدود لها([1]). ومن ثم نجد مدي ملائمة العقل والدين معاً، في فكر نيكولاس كوزانوس فأن الحديث عن الله الثابت المطلق يقترن بعدم محدوديته، وسرمديته، لأنه واجب الوجود، ولا شيء خارج عنه يستطيع أن يؤثر فيه، كذلك لا شيء داخله يميل إلى التغير.وهو غير قابل للتغيير في جوهره، وفى صـــفاته.فلا يزيد، ولا ينقص ولا يكون علمه في وقت ما أكثر أو اقل مما هو في وقت آخر، ولا يكون أكثر قوة، أو حكمة، أو قداســـة، أو عدلاً، أو رحمة ولا أقل مما هو.وكذلك هو غير متغير في مقاصـــده لأن حكمته غير محدودة، فهو لا يخطئ في آرائه السابقة العلم حتى يحتاج أن يصححها بعد ذلك، وبما أن قوته غير محدودة لا يمكن أن يمنعه مانع عن إتمام مقاصـــده.ومن ثم فالله مســـتقل بنفســـه،فكما أنه غير معلول بل هو علة كل المخلوقات لا يغيره أحد، بل هو يغير الكل،وهو غير محدود في علمه، وحكمته، وبره وصـــلاحه وقوته، لذلك فطالما أن الإله يمتاز بتلك الخصـــائص، فهو إذن لا يقبل الزيادة ولا

(32) Nicholas Cusanus: Dialogue On The Genesis Of All Things, Translated By ,Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America ,1959.P400-156.

النقصـــــان، وتدل ســـرمديته على ثباته،كما تدل على نفى النقص والتغيير عن جوهره اللامتناهى([1]).ويشير كوزانوس بأن الكتاب المقدس حمل الكثير من الإخبار عن نشأة وتكوين العالم، والخلق فنجد في أسفار موسي، بأن بداية خلق الإله، هي السماوات والارض، وأن الإله هو نفســه البداية المقدســة لكل شــيء موجود، وأن ارادة وقوة الإله هي التي تجعل كل شــيء يخرج الي حيز الوجود، فأن الإله هو واقع وخالق مطلق لكل المخلوقات، فأن إمكانية الوجود عند الإله خيرة مطلقة تماما، فكل شــيء كان مظلما معتما يسـوده الشـرور والخطايا، الي أن الإله جعل من نوره الإلهي أضـــاءة للعالم حتي يكون العالم مرئي للبشـــرية، وأن المخلوقات الموجودة في العالم اثبات علي فعل الإله في العالم وفي الخلق والنشـــأة، وتشـــهد علي وجوده الإلهي الخير الفعلي في العالم وأن أي حركة طبيعية فعلية تتم في العالم هي حركة إلهية يريد الإله من خلالها اثبات وجوده الإلهي في العالم، وأن وجوده مقدس، وكل الخلق تم بفعل مباركه وقداسه كلمة الإله، المقدسة التي بها تم خلق كل شيء لانه واحد في ذاته([2]).

وهذا يجعلنا ننظر في النصـــوص القديمة في الهند التى تدور حول كيفية تفاعل البشر مع نظام كوني معقد. ففي كتب ڤيدا المقدسة والنصوص التي ألحقت بها سعي لإرشاد الناس – بل الذكور الرفيعة منزلتهم الحائزين على أحســـن الخصـــائص – إلى العمل الذين يثابون بحسبه ثواباً مادياً كالغنى وحسن الحال في الإهل وعلو الرتبة وثبات الطبيعة. وإن تكن هذه الرؤية رؤية كونية من جهة كون القصـد من الإعمال هو حفظ النظام الكوني المعقد، فإن الشغل الشاغل لـــڤيدا هو الكائنات البشرية من جهة ما هي بشرية. وتقوم في صميم ذلك فكرة «الإنســان»(ويُعبَّر عن الإنســان بلفظين. إلاول، مانوشْــيا وأصــل معناه «يعتقد» أو «يعقل»؛

(٣٣)– جيمس أنس : علم اللاهوت النظامي ، مرجع سابق ، ص ١٦٤– ١٦٥.

(34)-Nicholas Cusanus: On The Pursuit Of Wisdom , Translated By,Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America ,1998.P1294-23.

والإلاخر، پوروشا، وأصل معناه «وافر»). فالإنسان مفكر بما يأتي، ومدبر لما يَستقبِل، ومختار لما يعمل، وطالب للخلود (بمعناه الحرفي، أي عدم الموت). أحياناً يُختص بمصطلح مانوشيا الشخص الشريف والكريم المحتد (آريا) بإزاء جماعات الإتباع (وكذلك الصينيون، بل ربما معظم الحضارات الإلاخرى، يسوّون ابتداءً بين ما يصطلحون عليه من عموم اللفظ الدال على جنس البشر وبين اسم طبقة الصفوة). فوجهة الفكر الهندي، من أول أمره، هي الكائن البشري المشخص، والشخص الكريم المحتد ذو المقدرات العقلية والمزايا والمسؤوليات([1]). لكن جانباً مفارقاً ضم إلى صورة الكائن البشري في الحقبة التي وضعت فيها آخر النصوص القديمة هذه. ويقول أَيْتِرِيا أَرانْياكا، أحد تلك النصوص, أن الذكاء والتمييز وقوة الإدراك هو ما اختص به الإنسان (پوروشا)؛ فليست قدرته على التفكير بمنحصرة بعالم الغد، بل في ما هو أكبر شأناً من ذلك, أي في في نصوص ڤيدا أدلة قليلة على الإعتقاد في الحياة أكثر من مرة (وفي الحياة الإلاخرى). ولكن لا يلبث أن يسود الإعتقاد في أن هذه الحياة هي واحدة من كثير، وأن الحياة والموت يتعاقبان دائبين. قبل هذه الحياة كانت حيوات، وبعد هذه الحياة ستكون حياة أخرى هاهنا أو في مكان آخر؛ ثم حياة فحياة، وربما للأبد. لا علم لنا كيف صار لهذه الفكرة ما لها من أثر في الهند القديمة ولا لماذا. وإذ أنها فكرة في ما لا خبرة لنا به في هذه الحياة، فإنها تساوي في اعتباطيتها الإعتقاد في حياة أخرى في عالم آخر([2]). ومما لا ريب فيه أن لفكرة دائرة الحيوات أثراً في مفهوم الذات. فعلى الإعتقاد بأن لا شيء سوى هذه الحياة والإلاخرى التي تعقبها، تكون الذات التي يتعاقب عليها الحياة والموت شيئاً له قدر من الوضوح: هي هذا

---

(٣٥)- تشاكرامارتي رام – پراساد: الفلسفة الشرقية، ترجمة: وفيق فائق كريشات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق –سوريا،ط ١ سنة ٢٠١٠ ،ص ٥٣-٥٤.

(٣٦)- تشاكرامارتي رام – پراساد: الفلسفة الشرقية، ترجمة: وفيق فائق كريشات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق –سوريا،ط ١ سنة ٢٠١٠ ،ص ٥٣-٥٤.

الشخص الإلارضي المقيد بالزمان الذي يحيا هذه الحياة ثم يلج في واحدة أخرى. أما إذا كانت الحيوات كثيرة، ومنها ما ليس ببشري، فمن غير المعلوم يقيناً مَن المولود أو ما المولود في كل مرة. ومن البيّن أنه ليس شخصاً بسبب أن الشخص 'أنا' ليس هو المنسوخ بقرة أكلتْ منها أُمّ جدتك (بل ولا هو أم جدتك بذاتها وقد حاقت بها آثامها)، وإن جاز انتقال الذات (الإتمان) الحقيقة الجوهرية من بقرة لا اسم لها (أو من أم جدتك) إلى رام- پراساد. وينبغي التفريق بين الشخص المشخص المعلوم (بل الحيوان المعلوم الذي له ذات وإن لم يكن بشخص) والذي يحيا ويموت، وبين ما لذلك الكائن من ذات جوهرية، كانت فيما مضى في كائن آخر، وهي اليوم في هذا الكائن، وستكون في غيره في ما يأتي من الإيام لا نعلم أي الفكرتين ظهرت أولاً، دورة الحيوات أم نزع الشخصية عن الذات/أتمان؛ ولعلهما جاءتا معاً. ولكن لما حدثت المجموعة الكبرى من إلاوپانيشادات، قد كان أتمان صار شيئاً مفارقاً للبدن وخبراته. فهو الذي يبث الحياة في الشخص، فيحييه ويشيد أركانه، ولولاه لم يكن شخص. وبموت ذلك الشخص, وهو الكائن ذو الآبوين والشخصية والخلق والعلاقات والبدن(١). فأن كانت الثيوصوفيا هى فكر مغلوط ومن البعض من يتخذه لمحاربة وهدم الدين إلا أننا نجد كوزانوس يقول أن الكلمة الخالقة عند إلافلاطونيين، هي كلمة تحمل القداسة والطهارة وهي الفكر الإلهي، فالإله واحد يحمل الفكر الخير في كل المخلوقات. عن طريق كلمة الرب التي نطقها في ذاته تم خلق العالم وما يوجد فيه من سماوات و إلارض والكائنات وكل شيء، فالخلق والعالم عند الفلاسفة كان في البدء غير منظم وغير مدبر، وغير مرتب وأن العقل هي

(٣٧)- تشاكرامارتي رام – پراساد: الفلسفة الشرقية، ترجمة: وفيق فائق كريشات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق –سوريا،ط ١ سنة ٢٠١٠ ،ص ٥٣-٥٤.

الفعال في العالم فهو المقدس الذي به خلق كل شـــيء بما فيها المخلوقات العاقلة(١).فإن وظيفة الدين عند نيكولاس تتمثل في هداية الإنســان ومســاعدته وارشــاده للوصــول الي الله. الانبياء والرســـل أدوا مهمة التبليغ للناس وإخبارهم بالخالق ، بأوامره ونواهيه. ومعرفة الله تحققت للانسان بالنقل عن الانبياء و الرسل. انها المعرفة الدينية ، علوم الاخرة، وفي الاسلام نصها الاساسي القرآن واحاديث الرسول (السنة المؤكدة). هذه العلوم جاءت لهداية الإنسان وخاطبت عقله لإرشاده . عليه ان يتقبلها كما هي ويؤمن بها غيبيا. أما العقل وظيفته الدماغ من خلال الادراك – الوعي – لإكتساب المعرفة وإنتاج المعرفة.

لا شك أن المعرفة الدينية المستمدة من الثيوصوفيا (ومعها بل ضمنها الخبرة الدينية) وإن تكن مستندة ومستمدة – في عناصرها الأساسية – من الوحي، ومن الإيمان بالوحي، إلا أنها ليســت الوحي نفســه.. إنها ببســاطة: القراءة البشــرية للوحي لا شــك أن المعرفة الدينية (ومعها بل ضمنها الخبرة الدينية) وإن تكن مستندة ومستمدة – في عناصرها الأساسية – من الوحي، ومن الإيمان بالوحي، إلا أنها ليســت الوحي نفســه.. إنها ببســاطة: القراءة البشــرية للوحي. وبهذا التعريف للمعرفة الدينية يصـــبح واضـــحاً الفرق بين الدين وبين الثقافة الدينية، وبين الوحي وبين معرفة الوحي فإذا كان الدين – الوحي.. مصــدره الله ســبحانه وتعالى، فإنّ المعرفة أو الثقافة الدينية مصـــدرها البشـــر.. ونحن لا نورد هذا التمييز بين الدين، والثقافة الدينية لننفي صـــفة التقديس عن الثقافة الدينية، ونثبتها للوحي وحده – فهذا أمر بات مفروغاً منه، ولا يجوز التورط – من جديد – باسباغ المقدس على ما هو بشري. لأن كل ما هو بشري هو نســبي، أي ناقص ومتحول. لكنّنا نورد هذا التمييز بينهما تمهيداً لبحث العلاقة بين الدين والثقافة.ما العلاقة بينهما؟ يخيل إلي أن الدين هو جواب إلهي على ســؤال ثقافي بشــري..

(38)-Nicholas Cusanus: On The Pursuit Of Wisdom, Translated By,Jasper Hopkins , Library Of Congress , United States Of America ,1998.P1294-24.

سؤال لم يكن بوسع المعرفة البشرية الجواب عليه، وما تزال المعرفة البشرية عاجزة، وستبقى كذلك فما هو هذا السؤال؟ ولماذا أسميناه سؤالاً ثقافياً؟ ثم لماذا كان سؤال معجزة لا يستطيع الكائن الإنساني أن يقدم الإجابة الحاسمة عليه؟ وما هو السؤال؟ إنه سؤال الوجود.. ما هو هذا الوجود؟ ما مصدره؟ هل لهذا الوجود بداية؟ وهل له نهاية؟ وأين يكمن المعنى الأسمى لهذا الوجود؟ وما هو موقع الكائن الإنساني فيه؟ وما هو مصيره؟كل الإجابات البشرية عن الطبيعة، والمادة وعن جميع مظاهر الوجود، والتي دخلت في نطاق العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية لم تجب، ولم تقترب من الجواب على سؤال الوجود، وسيبقى هذا السؤال لغزاً بمعزل عن معطيات الدين. لكن هذا السؤال يبقى في طبيعته ثقافياً.. بل سؤالاً ثقافياً بامتياز، لأنّه سؤال الحيرة، والبحث عن المعرفة.. ثم إنّ الدليل الأسطع على اعتباره سؤالاً ثقافياً بامتياز يظهر بوضوح في انهماك الآداب والفنون والفلسفات منذ فجر التاريخ بتحديات هذا السؤال وتداعياته.. حتى يمكن القول إنّ: ما من إبداع في مستوى الفلسفة والأدب والفنّ يمكن اعتباره إبداعاً نوعياً ما لم يتضمن تلك الحيرة التي يتفتَّح عنها سؤال الوجود الخالد.أما كونه سؤالاً معجزاً لا تقع الإجابة عليه في دائرة الطاقة البشرية. فذلك لأنّ كلّ إجابة للعقل البشري في هذا المضمار تعيد إنتاج السؤال من جديد، وتؤكده حتى لتبدو الإجابات البشرية بمثابة غابة جديدة من الأسئلة المتفرعة عن سؤال الوجود الأول نفسه!..الدين إذاً، بوصفه الإجابة الوحيدة الممكنة على سؤال الوجود، والبداية والمصير، لا يمكن أن يكون مصدره بشرياً. بل لا بد من كينونة أعلى من الكائن الإنساني تكون هي المصدر الذي تصدر منه الإجابة وهي الله تعالى. ووفق المؤمنين، فإنّ الإنسان تلقى الإجابة على هذا السؤال عن طريق الوحي من الله تعالى بواسطة الأنبياء. إن علماء الكلام يقولون إن الكائن الإنساني تعرّف إلى وجود الله عن طريق العقل، وأنّ العقل البشري محكوم بفكرة وجود المبدأ الأول. وكثير من الفلاسفة يرون ذلك.. وأن العقل يستقل

بمعرفة وجود الله بدون أي إضافة معرفية من خارجه (أي من خارج العقل)، وما عدا ذلك من معارف غيبية كالبعث، والثواب والعقاب فإن مصدرها الوحي وهكذا بات الوحي مصدراً للمعرفة عند البشر معرفة مختلفة بطبيعتها عن المعارف التي تأتي ثمرة مباشرة لحركة العقل.. والعلاقة بينهما (أي بين معطيات المعارف العقلية، وبين معطيات المعرفة عن طريق الوحي) ليست علاقة تناقض وتضاد. فالعقل البشري – في أي حال من الأحوال – إن لم يستطع أن يثبت معطيات الوحي، فإنّه لا يستطيع أن ينفيها. والعقلانيون بأقصى درجات تقصيهم لمعطيات العقل لا يستطيعون إلاَّ الادعاء بأنّ الغيب هو ميدان من ميادين عمل العقل البشري(١). فقد ذهب كوزانوس إلى أن العلاقة بين الدين والعقل والفكر الثيوصوفي بأنه يتمثل في تلك الحجة الغائية وهي حجة مبنية من التسلسل الدقيق الدال على تدبير الإله الخالق وتصميمه المنظم للعالم،هذا التصميم الكائن في الطبيعة لم يكن من قبل الصدفة أو العدم، وإنما له دلالة قصدية Intentional ومصممة في كل الموجودات،هذا النظام الكائن في الطبيعة قصده الإله بعنايته وتنظيمه وترتيبه للعالم،وباستعمال قوته وإرادته، يقول نيكولاس (إن الحجة الغائية أو ما تعرف بعلة التصميم بحسب فهمي لها هي حجة تنطلق من وجود نظام محكم لكل ما يدور في هذا الكون من موجودات، أو من وجود كينونات واعية يستلزم وجودها وجود إله ما مسئول عن إحداث مثل هذه الظواهر، تلك الحجة عبارة عن نظام يسرى في الكون وهو إما أن يكون زمانياً أو مكانياً، وسوف يظهر نيكولاس الفرق بينهما،والنمط النظامي في كلتا الحالتين من صنع البشر،أما الكون ففيه أنماط منتظمة تعمل لغاية قصدية، وتتدرج تحت كلا النوعين دون

(٣٩)- أنظر بالتفصيل على الرابط بتاريخ٢٠١٨\٧\٢٤
http://janoubia.com/2014/04/05/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B5%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84/

أن تكون من صنع بشر أو كينونات لأشخاص متجسدة، فهناك النظام الزمني للأحداث التي تتحكم فيها قوانين الطبيعة، ويظهر ذلك جلياً من خلال كتب الفيزياء،والكيمياء،والأحياء دراسة شاملة حول كيفية تعامل البشر مع معظم الأشياء.ويمكن صياغة القوانين التي تحكم تصرفاتها في صورة معادلات بسيطة نسبياً يفهمها البشر وتمكنهم من التنبؤ بالمستقبل.وكذلك هناك النظام المكاني الذي يظهر مدى الانسجام والتجانس بين أعضاء جسم الإنسان والحيوان بترتيبها المعقد. فلدينا أطراف، وكبد، وقلب، ومعدة، وأعضاء حسية وتناسلية، والتي بموجبها وبموجب النظام الزمني تستطيع أجسامنا أن تمدنا بقدر هائل من المعرفة حول طبيعة العالم، والقدرة على القيام بالكثير من الوظائف المختلفة فيه.ومن ثم إن العلة الغائية سواء من الناحية الزمانية أو المكانية بحسب اعتقاد نيكولاس هي رصد الفلاسفة لرد فعل متأصل في الوعي البشرى تجاه طبيعة العالم. يرى البشر أن إمكانية إدراك العالم دليل على وجود خالق قادر على الفهم والإدراك، فقد عاش النبي(أرميا(*) ٦٣٦-٥٨٦) في عصر كانت فيه مسألة وجود إله خالق أو آلهة متعددة أمراً مفروغاً منه.وكان موضع التساؤل هو معرفة ما إذا كان هنالك إله واحد، وما مدى صلاحه، وعلمه، وقوته.فحاول أرميا في ضوء نظام الكون البرهنة على وجود اله جبار يعتمد عليه، وهو الله فعلل قوة الخالق بمدى خلقه "كَمَا أَنَّ جُنْدَ السَّمَاوَاتِ

(*) أحد أنبياء بني إسرائيل ،بدأ في التنبؤ عام ٦٢٧ق.م أثناء ملك بوشيا،فأعلن أن القدس ستسقط في يد البابليين، وحذر من الثورة ضدها،وقد اتهمه الكهنة بمحاولة الانضمام إلى العدو، وسجنوه في قبر ليموت جوعاً،ولكن الملك رأف بحاله، ونقله إلى سجن آخر وقدم له الطعام،وظل أرميا على هذا الحال إلى أن سقطت القدس في يد البابليين،كما اتسمت نبوءته بالآلام والمرارة، ولكنه يطرح رؤية جديدة تماماً للتجربة الدينية يتجاوز بها الحلولية المادية الوثنية ويصل بها إلى التوحيدية الحقة،إذ ينقلها من عالم الظاهر إلى عالم الباطن،ومن عالم القرابين إلى عالم القلب والحياة،فالإله لا يطلب الذبائح فحسب، بل الطاعة الداخلية،فهو يريد من البشر حياة أخلاقية رفيعة تتسم بكل معاني الحب والنقاء الروحي.(أنظر: عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ، الجزء الخامس، ص ١٢٠).

لاَ يُعَدُّ، وَرَمْلَ الْبَحْرِ لاَ يُحْصَى، هكَذَا أُكَثِّرُ نَسْلَ دَاوُدَ عَبْدِي وَاللاَّوِيِّينَ خَادِمِيَّ "(أرميا ٣٣: ٢٢)،وقال إن نظام الخلق الكامن يدل على دقة تدبير الإله الخالق، كما أشار إلى "العهد مع الليل والنهار، وتواليهما المتعاقب والمنتظم،وآيات السماوات والأرض"،واستخدم وجودهما لإثبات جدارة الإله حسبما يرد في المعتقد اليهودي. وفى هذه النقطة، تجدر الإشارة إلى إيمان نيكولاس بمذهب القصدية(**)Intentionality الذي يقر بوجود علامات القصد الظاهرة في الكون بطرق مختلفة مثل الترتيب المدقق في كل أنواع المخلوقات، وإجراء كل شيء على قوانين طبيعية فعالة ومرتبطة ببعضها البعض، وارتقاء أحوال الخلائق بالتدريج في سلم الترتيب والنظام، وموافقة البنية الإلهية لإتمام وظائفها وللنمو والتقدم، وموافقتها عند بلوغ كمالها للغاية المقصودة من خلقها،وهذه العلامات تدل بالضرورة على فاعل قاصد حكيم صنع ما يقع تحت نظرنا، وهو قادر أيضا أن يصنع كل شيء بإرادته، وهذا الكون منتظم لأنه يظهر فيه حسن النظام ،والتركيب، والقصد في كل شيء، وهذا القاصد هو الإله(١).

الخلاصة:

المتمعن في فلسفة كوزانوس يجده أنه قد حرر العقل من كل المعتقدات والامور التى كانت صانعة نقطة فاصل بين الإنسان والله، فأصبحت العلاقة بين الله والمؤمنين وطيدة مترابطة متصلة دائماً، لأنها علاقة بين المعبود والعابد فالأول يستحق العبادة والقداسة، والثاني عليه تقديم واجبات الطاعة من أجل الحصول على الخلاص ودخول ملكوت الله الأبدي، وهنا

(**) مصطلح فلسفي يعنى أن الوعي هو وعى بالشيء بغض النظر عن الوجود الواقعي لهذا الشيء، ينسب هذا المصطلح للفيلسوف هوسرل الذي وصف حالات الوعي بأنها قصدية، أي أن الذات المفكرة مفكرة لأنها موضوع فكر.(أنظر: مراد وهبه: المعجم الفلسفي،ص ٤٩٣).

(٤٠) جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي، راجعه وأشرف عليه:القس منيس عبد النور، ص ١٢٧.

نرى كوزانوس حيث انه دمج بين الأفكار الافلاطونية الحديثة وبين الأفكار المؤروثة من أجل بناء أسلوب مدمج للافكار الدينية على هيئة صيغة لاهوتية فلسفية تخدم الدين والمؤمنين، وفي ذلك الوقت تسيطيع الأنسان من خلالها التقرب لله.

وما يدل على لاهوتية كوزانوس فنجد أن طبيعة الله عنده تتمثل في ارادته الإلهية الحرة فالله يستطيع ان يدخل مع المؤمنين في حوار إلهي بغرض كمال إيمانهم الديني.

ونجد أن المعرفة عند نيكولاس تتمثل في العقل الإلهي لأنه مصدر كل شيء موجود في العالم، وأن العقل الإنساني يحوى بداخله نور فكرى فطرى إلهي مصدره الله الأول، من خلاله يستدل على حقائق كل شيء موجودة بالعالم.

فالإنسان يستطيع معرفة الله من خلال الصور التى تأتي له بداخله فتدل على وجود إله مبدع محكم للكون والعالم وخالق كل المخلوقات وأن العلاقة بينهما علاقة ترابط إلهي، فالمعرفة عند كوزانوس تتمثل في شخص الإله فهو أول ومصدر كل شيء موجود.

ومن خلال غرض القضايا الإيمانية عند نيكولاس كوزانوس نلاحظ إنه قد سلك الاتجاه الفلسفي الديني، فعلى الرغم بصفة نيكولاس لاهوتى ألا أنه كان محصوراً في جانبه الديني الذي يعتمد على الكتاب المقدس والآباء القديسين وهذا كان على حساب الجوانب الأخرى مثل فلسفة العقل، والمنطق، وما بعد الحداثة، وهذا معناه أن المؤثرات التي أثرت في فكره الفلسفي، واستفاد منها نيكولاس كانت تخدم الدين والأخلاق أكثر من اللازم، حتى وإن كان هذا بسبب كونه لاهوتياً، فهذا لا يمنع من أنه كان من المفترض أن يعالج القضايا أو المشكلات الفلسفية من زاوية عقلانية لتتحول من فلسفة الدين إلى فلسفة العقل، أي من اللاهوت إلى الإنسان. ومن النقل إلى العقل.

لقد كان سعي نيكولاس كوزانوس لمعالجة دينية لقضية التأويل لكشف عن محاولته الربط بين أفكاره الدينية بعضها ببعض في وحدة نسقية فلسفية، فنجده أنه ربط مفهوم ووجود الإله في كتابه البحث عن الإله، يربطه بقضية الإيمان القائمة على الإيمان الدينى العقلي، وحينما يتحدث عن نظرية المعرفة نجده يربطها بمصطلحات الحقيقة والاعتقاد والتبرير أو التعليل، كذلك حينما يعتمد على استخدام الألفاظ الموحية لبيان محتوى الخطاب الديني، واستخدام الكلمات والمصطلحات اللاهوتية بطريقة الرمز والمجاز نراه يحاول إدراج أو تطبيق المنهج الفيلونى في الاستشهاد بالأمثلة والتعبيرات الاصطلاحية لتحليل لغة النص للوقوف على محتواه ومعرفة مضمونه ودلالته الفلسفية والتعبير عنها في صورة نسق فلسفي.

أن نيكولاس لم يكن يشاء أن يؤسس مذهباً دينياً مغايراً السابقين بل كان يريد أن يجعل الدين يخدم المؤمنين، وهذا يساعد على أظهار كمال الإله الظاهر للجميع والبرهنة عليه من أجل ضعاف النفوس حتى يكون إيمان قوى بالإله الخالق المبدع في كل شيء، الذين يملكون الإيمان ولكنهم لم يصلوا له بعقولهم قبل قلوبهم.

وكذلك نجد أن الأفكار التي أخذها نيكولاس عن الفلاسفة اللاهوتيين السابقين عليه لم تكن من أجل أن يؤسس بها مذهب خاص به يبررمن خلاله وجهات نظره، بقدر ما كانت رؤى دخيلة عليه لم تؤثر سلباً على عقيدته الدينية الصرفة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن النسق الفلسفي الذي نادي به نيكولاس لم يخرج عن لاهوتيه التي نادي بها، حيث الاعتماد على نصوص الكتاب المقدس، ونقد أي رأى يتعارض مع وجود الله وصفاته وكماله.

Theossaifia issue of the contradictory constants to rational belief

Abstract:

Theosophy It is one of the most important contemporary issues of our time. The effective mind is the Almighty God who masters the universe.

Theosophy is a free religious thought that is free from all existing beliefs. It does not have any difficulties and thus is not constrained by retrograde thought or is limited by a certain or limited system. We find that when Nicholas owns the union with the Great God, by obtaining his spiritual and religious perfection, faith in Go

He makes man close by the knowledge of God and that all this is drawn in religion.

There is nothing independent of God, since all God is the Creator. All that exists is associated with the Creator. The power of God precedes everything. They seek Him in order to increase faith and reflect on His creation and creatures because God exists in everything, and everything that exists indicates God.

Descriptors: Theosophy- God- religion